# حوار مع نوم تشومسكي*

أجراه: دايفيد برسميان

**كما تَعْلَم، هناك غضبٌ وغيظٌ وذهول في الولايات المتحدة منذ أحداث ١١ أيلول (سبتمبر). وقد حصلتْ أعمالُ قتلٍ واعتداءاتٌ على الجوامع [في الولايات المتحدة]، بل حصل اعتداءٌ على هيكلٍ للسِيخ. وفي جامعة كولورادو، التي تقع هنا في بولدور، وهي بلدةٌ معروفةٌ بليبراليَّتها، كانت ثمّة شعاراتٌ على الحائط تقول: «عودوا إلى بلادكم يا عرب!» «اقصفوا أفغانستان!» «عودوا إلى بيوتكم يا عبيدَ الرمال!» ما هو رأيُكَ في ما حصل منذ الاعتداءات الإرهابيَّة؟**

مشاعري متضاربة. فما تَصِفُه قد حَصَلَ حقّاً. ولكنْ من جهة ثانية هناك تيّاراتٌ مضادّةٌ لما حدَثَ. فمثلاً أنا أَعْلم بوجود هذه التيّارات حيث أعيش ولي معارف، ولكنْ في جريدة **نيويورك تايمز** اليومَ كان ثمّة تقريرٌ عن المزاج الشعبيّ في نيويورك، بما في ذلك أماكنُ أقيمتْ فيها أنصابٌ تذكاريَّةٌ لضحايا الاعتداء الإرهابيّ على مركز التجارة العالميّ. ويشير التقرير إلى أنّ اليافطات التي تحضّ على السلام، والنداءات التي تدعو إلى التعقُّل، تفُوق إلى حدٍّ كبيرٍ النداءاتِ التي تَدْعو إلى الانتقام. كما يشير التقريرُ إلى أنّ مزاج الناس الذي شَملهم الحديثُ كان مختلطًا ما بين مؤيِّدٍ ومعارضٍ لاستخدام العنف، ولكنّه كان معارضًا بشكل عامّ. وهناك تيّارٌ آخر يؤيِّد الأشخاصَ الذي يتعرَّضون للاعتداءات هنا بسبب لونهم الداكن أو لأنّ أسماءهم غريبة. وهكذا تجد أنّ في أميركا تيّاراتٍ مضادّة. السؤال هو: ماذا بمقدورنا أن نَفْعل لنَجْعل التياراتِ الصحيحة تسُود؟

**تبيَّن أنّ الإعلام يَفْتقر بوضوح إلى توفير سياقٍ وخلفيَّةٍ للاعتداءات على واشنطن ونيويورك. فما هي بعضُ المعلومات المفيدة التي تَسْتطيع أن توفِّرها أنتَ؟**

هناك فئتان من المعلومات المفيدة بشكلٍ خاصّ، لأنّ ثمّة في الحقيقة مصدرَيْن للاعتداءات. فلنفترضْ أنّ هذه الأخيرة كانت مرتبطةً في أصولها بشبكة بن لادن. ففي هذه الحال نكون إزاء فئتين: الأولى هي شبكة بن لادن. والثانية هي **الناسُ** في تلك المنطقة من العالم. وهاتان فئتان منفصلتان، برغم وجود الروابط بينهما. ما يجب أن يكون في واجهة النقاش هو الفئتان معًا. بالنسبة إلى شبكة بن لادن أشُكّ أن أحدًا يَعْرفها أفضلَ من المخابرات المركزيَّة الأميركيَّة لأنّها كانت ذاتَ أثرٍ كبيرٍ في تشكيلها أصلاً. فهي شبكةٌ بدأتْ عام ١٩٧٩ إنْ أنتَ صدَّقْتَ زبيغنو بريزنسكي مستشارَ الرئيس كلينتون للأمن القوميّ. فقد قال، وربّما كان يتباهى فقط، إنّه في ذلك العام حَرَّض على تقديم دعمٍ سريٍّ «للمجاهدين» الذين كانوا يحاربون حكومة أفغانستان في محاولةٍ لجرّ الروس إلى ما سمّاه «الفخّ الأفغانيّ» ـ وهذا تعبيرٌ جديرٌ بالتذكّر.(١) وهو فخورٌ جداً بأنّهم وقعوا حقّاً في الفخ الأفغانيّ بإرسالهم قواتٍ عسكريَّةً لفرط الحكومة بعد ستّة شهور، وكانت نتيجةُ ذلك الغزو معروفةً. لقد قامت الولايات المتحدة، ومصرُ، والمخابراتُ الفرنسيَّة قلبًا وقالبًا، والسعوديةُ تمويلاً، وإسرائيلُ ضلوعًا، بتنظيم جيشٍ ضخمٍ من المرتزقة، يقدَّر بحوالى ٥٠ ألفًا، وجمّعوهم من أكثر الفئات التي وجدوها قتاليَّةً، وحَدَث أنْ كان هؤلاء من الإسلاميِّين الراديكاليِّين، الذين سمَّيْناهم هُنا «الأصوليِّين الإسلاميِّين،» وجاءوا بهم من كل أنحاء العالم، ومعظمُهم من خارج أفغانستان. اسمُهم «الأفغان» ولكنَّهم ـ شأنهم شأن بن لادن ـ ليسوا من أفغانستان.

بن لادن؟ كلامٌ سريعٌ عنه. كان ضالعًا في الشبكات الموَّلة، التي مازالت هي نفسها التي تعمل إلى الآن على الأرجح. وهي شبكات مدرَّبة ومسلَّحة ومنظَّمة بفضل وكالة المخابرات المركزيَّة الأميركيَّة والمخابراتِ الفرنسيَّة والمصريَّة وغيرها من أجل خوض حرب مقدّسة ضدّ الروس. وهذا ما فعله أعضاءُ تلك الشبكاتُ فعلاً. ثم دَفَعوا بالإرهاب إلى داخل الأراضي الروسيَّة. ولربّما أَخَّروا الانسحابَ الروسيّ من أفغانستان، على نحوٍ ما يعتقد عددٌ من المحلِّلين، ولكنّ أعمال [الإرهاب] تلك استمرَّت، وانسحب الروسُ لأسبابهم الخاصّة. ومع ذلك لم تتوقَّف أعمالهم. بل في عام ١٩٨١ قامت مجموعاتٌ تستند إلى هذه الشبكات نفسها باغتيال الرئيس السادات في مصر، وهو الذي كان ذا أثر كبير في تشكيلها أصلاً. وفي عام ١٩٨٣ قام أحدُ الانتحاريِّين بتفجير نفسه [في قاعدةٍ أميركيَّة] في لبنان، فكان ذلك عاملاً أساسيّاً في إخراج القوات العسكريَّة الأميركيَّة من هناك. وتواصلت العملياتُ مع ذلك.

بحلول عام ١٩٨٩ حين نجحتْ هذه الشبكاتُ في حربها المقدّسة في أفغانستان قالت لنا بكل صراحة إنّه ما إنْ تبني الولاياتُ المتحدةُ قاعدةً عسكريَّةً دائمةً في السعودية فستَعْتبر هذا شبيهًا بالاحتلال الروسيّ لأفغانستان. ثم أدارت تلك الشبكاتُ بنادقَها باتجاه الأميركان كما سبق أن فعلتْ عام ١٩٨٣ في لبنان. فهذه الشبكات تَعْتبر السعوديةَ عدوّاً أساسيّاً، وكذلك الأمرُ بالنسبة إلى مصر. وهي تريد الإطاحةَ بما تَعْتبره حكوماتٍ معاديةً للإسلام في كلا البلدين، وفي غيرهما من البلدان في الشرق الأوسط وشماليّ

---

* ـ خصّ الصديق دايفيد برسميان مجلةَ الآداب بالمقابلة التي أجراها مع تشومسكي في ٢٠ أيلول (سبتمبر)، أيْ قبل أن تُنْشر بالإنجليزيَّة في أيّ دوريَّة. فله الشكر والتقدير. (م)

١ ـ لا يَخْفى على اللبيب أنّه تعبير «جدير بالتذكّر» لأنّ تشومسكي يَعْتقد أنّه قد يكون فخّاً... للأميركان أيضًا. (م)

أفريقيا. وفي عام ١٩٨٧ قتلتْ تلك الشبكات حوالى ٦٠ سائحًا في مصر، ودمّرتْ قسمًا كبيرًا من السياحة المصريَّة. ثم واصلتْ نشاطاتها المسلَّحة في المنطقة بأسرها، في شماليّ أفريقيا وشرقِها وفي الشرق الأوسط، طوال سنوات.

هذه فئةٌ أولى، وهي ثمرةٌ للحروب الأميركيَّة في الثمانينيَّات، بل قبل ذلك الوقت، إنْ نحن صدَّقنا بريزنسكي، أيْ حين نَصَبَ [الأميركان] «الفخَّ الأفغانيَّ» للروس. وسنتحدَّث مطوّلاً عن هذه الشبكات، ولكنَّها فئةٌ واحدةٌ فحسب ممّا يَجْدر الحديثُ عنه.

وأمّا الفئة الثانية فهي الناس الذين يعيشون في تلك المنطقة من العالم. والفئتان مرتبطتان بالطبع؛ فشبكةُ بن لادن والشبكات الشبيهة الأخرى تَسْتقي دَعْمها مِنْ يأسِ الناس في تلك المنطقة ومِنْ غضبهم ومِن استيائهم. وهؤلاء الناس فيهم الغنيُّ وفيهم الفقيرُ. نَشَرتْ **وول ستريت جورنال**، وذلك ما يُسجِّل لصالحها، مقالات عدّة عن توجُّهات مسلمين أثرياء من أصحاب المصالح الكبيرة، ورجالِ أعمال ورجالِ مصارف ومهنيِّين وآخرين في منطقة الشرق الأوسط يَجْهرون صراحةً بالتعبير عن شجونهم. صحيح أنَّهم يُفْصِحُون عنها بشكلٍ أكثرَ تهذيبًا من الفقراء في الشوارع والأحياء، ولكنَّ المغزى واضح في الحالين. الجميع يَعْرف هؤلاء الناسَ. فهم أولاً غاضبون جدّاً للتأييد الأميركيّ للأنظمة القمعيَّة غيرِ الديموقراطيَّة في المنطقة، وغاضبون لإصرار الولايات المتحدة على عرقلة أيّ جهود لإيجاد مخارج ديموقراطيَّة. ولا شكَّ أنَّكَ سمعتَ على الراديو للتوّ (ويُخيَّل إليَّ أنَّ ناقلة الخبر هي «هيئةُ الإذاعة البريطانيَّة») تقريرًا يفيد بأنَّ الحكومة الجزائريَّة مهتمّة الآن بالمشاركة في هذه الحرب [الأميركيَّة المحتملة]. وقال المذيع إنَّه حدثتْ عملياتٌ إرهابيَّةٌ إسلاميَّةٌ كثيرةٌ في الجزائر، وهذا صحيح، ولكنَّه لم يَقُل الجانبَ الآخرَ من الحكاية: وهو أنَّ كثيرًا من أعمال الإرهاب كما يبدو هو من عمل الدولة الجزائريَّة نفسها. وثمّة براهينُ قويَّةٌ على ذلك. إنَّ الحكومة مهتمّة طبعًا بقمع أعدائها؛ بل الحقّ أنَّ سبب وجود الحكومة الجزائريَّة هو مَنْعُها في السابق إجراءَ انتخاباتٍ ديموقراطيَّةٍ خسرتْها هذه الحكومةُ لصالح الجماعات الإسلاميَّة أساسًا. وهذا هو ما أشْعل فتيلَ القتال الجاري. وهذه هي حالُ كثير من البلدان الأخرى في المنطقة.

كما اشتكى الناس في تلك المنطقة من أنَّ الولايات المتحدة مَنَعَت النموَّ الاقتصاديَّ المستقلّ بسبب «دَعْمها للأنظمة القمعيَّة.» وهذا هو التعبير الذي استخدموه. لكنّ الشكوى الرئيسيَّة التي ركّزتْ عليها مقالاتُ **وول ستريت جورنال** المذكورة، ويركّز عليها جميعُ مَنْ يَعْلم أيَّ شيءٍ عن المنطقة هناك أو يهتمُّ بأيّ شيء فيها، وهي شكوى آتيةٌ من أفواه المسلمين الأغنياء، وهم بالمناسبة مؤيِّدون للأميركان، إنَّما هي موجَّهةٌ إلى سياسات الولايات المتحدة

**نصف مليون طفل عراقيّ ماتوا، ولكن أولبرايت تعتقد أنّ الهدف «حرزان!»**

المزدوجة المتناقضة تناقضًا صارخًا في رأيهم، وهُمْ على حقّ، حيال العراق وإسرائيل. ففي حالة العراق تُواصِلُ الولاياتُ المتحدةُ وبريطانيا منذ عشرة أعوام تدميرَ المجتمع المدنيّ هناك. وعبارةُ مادلين أولبرايت الشهيرة، وهي أنَّ نصفَ مليون طفل عراقيّ ربّما ماتوا وأنَّ ذلك ثمن باهظ ولكنَّنا على استعداد لدفعه، لا تبدو سائغةً جدّاً لأناسٍ يأبهون حقّاً لمقتل نصف مليون طفل على يد الولايات المتحدة وبريطانيا. وفي هذه الأثناء تقوِّي هاتان الدولتان نظامَ صدّام حسين. هذا في حالة العراق.

أمّا في الحالة الثانية فإنَّ الولايات المتحدة هي الداعمُ الأوّل وقاعدةُ الإسناد للاحتلال العسكريّ الإسرائيليّ للأراضي الفلسطينيَّة الذي يَدْخل اليومَ عامَه الخامسَ والثلاثين. وقد كان هذا الاحتلالُ منذ أيّامه الأولى قاسيًا ووحشيّاً وبالغَ القمع. معظمُ هذه الأمور لا تناقَش هنا في الولايات المتحدة، ويتمّ التكتُّمُ على دور هذه البلاد [في استمرار الاحتلال الإسرائيليّ والقمع الإسرائيليّ]؛ فقد مَنَعت الولاياتُ المتحدة طوال ٢٥ سنة المبادراتِ الديبلوماسيَّةَ. بل يجري التكتُّم على حقيقة بسيطة وهي أنَّه مع بدء الأحداث في ٢٨ أيلول (سبتمبر) من العام الماضي بين الفلسطينيِّين وإسرائيل بدأتْ إسرائيل في اليوم التالي تَسْتخدم مروحياتٍ أميركيَّةً (لأنَّ إسرائيل لا تَسْتطيع أن تصنِّع مروحيَّاتٍ خاصَّةً بها) لمهاجمة الأهداف المدنيَّة. وخلال الأيام التي أعقبتْ ذلك قَتَلَتْ إسرائيل عشراتِ الأشخاص داخل شققهم. وبالمناسبة جرى القتالُ كلُّه في الأراضي المحتلّة، ولم يكن ثمةَ إطلاقُ نارٍ من قبل الفلسطينيِّين [في الأيام الأولى من الانتفاضة الثانية]، بل كان الفلسطينيُّون يَسْتخدمون الحجارة. إذن، نحن أمام شعب يرمي الحجارةَ ضدّ المحتلِّين العسكر ـ وهذه مقاومةٌ مشروعةٌ بحسب كلّ المعايير الدوليَّة.

في ٣ تشرين الأول (أكتوبر) عام ٢٠٠٠ أَبْرَمَ كلينتون أكبرَ صفقةٍ خلال ذلك العقد حين أَرْسل مروحيّاتٍ عسكريَّةً هجوميَّةً جديدةً إلى

إسرائيل. وتَواصَلَ إرسالُ هذه المروحيّات خلال الشهور القليلة اللاحقة. وهذا أمرٌ لم تُورِدْه وسائلُ الإعلام، ولا تورده الآن بحسب علمي. ولكنّهم [الفلسطينيّين] يَعْرفون ذلك. إنّهم يَنْظرون إلى السماء ويَرَوْن مروحياتٍ هجوميّةً آتيةً، ويَعْرفون أنّها مروحيّات هجوميّة أميركيّة أُرْسلتْ لهذا الغرض. وما هي إلاّ أسابيع حتى بدأ الإسرائيليّون يستخدمونها للاغتيالات. هنا أَصْدرت الولاياتُ المتحدةُ بعضَ التأنيبات، ولكنّها أَرْسلت المزيدَ من المروحيّات. في غضون ذلك يتواصل الدّعمُ الأميركيُّ لسياسات الاستيطان، التي انتزَعَتْ مساحاتٍ ضخمةً من الأراضي الفلسطينيّة وصُمِّمتْ لتحُولَ عمليّاً دون نموّ دولة فلسطينيّة ممكنة. فالولايات المتحدة توفِّر الدعمَ الماليَّ والدعمَ الديبلوماسيَّ. إنّها الدولةُ الوحيدةُ التي وقفتْ في وجه الإجماع الدوليّ الكاسح الشاجب لهذه السياسات بمقتضى اتفاقيّات جنيف. فالحقّ أنّ كلّ الدول باستثناء الولايات المتحدة دانت هذه السياسات... والأمر يزداد سوءًا؛ إنّه احتلال عسكريّ بالغُ الشدّة.

**إنْ كان لي أن ألخّص النقاطَ الثلاثَ التي أَعْتقد أنّك تقولُها، وربّما أردتَ أن تزيد عليها شيئًا بعد ذلك، فإنّه يَبْدو أولاً أنّ الوجود العسكريّ الأميركيّ في السعودية هو محرِّضٌ أساسيٌّ لبعض الأشخاص الذين يُزْعَمُ أنّهم وراء اعتداءات واشنطن ونيويورك. المحرِّضُ الثاني هو القصف الأميركيّ ـ البريطانيّ المتواصل للعراق، والعقوباتُ المستمرّةُ منذ ١٠ سنوات ضدّ هذا البلد. المحرِّضُ الثالثُ هو الدّعم الأميركيّ الهائل للاحتلال العسكريّ الإسرائيليّ لفلسطين. أثمّة محرِّضاتٌ أخرى؟**

هناك محرِّضات كثيرةٌ أخرى. المحرِّضُ الرابع هو أنّ الولايات المتحدة دَعَمَتْ وتَدْعم أنظمةً قمعيّةً سلطويّةً قاسيةً تحُول دون نجاح المبادرات الديموقراطيّة. فمثلاً ما ذكرتُه عن الجزائر، أو ما يَحْدث في تركيا، أو على امتداد شِبْهِ الجزيرة العربيّة. كلُّ نظامٍ قمعيٍّ وحشيٍّ قاسٍ مدعومٌ من الولايات المتحدة. وهذا يَنْطبق على نظام صدّام حسيْن أيضًا.

فلنأخذْ مثالاً صادمًا. في آذار (مارس) ١٩٩١، بعيْد حرب الخليج، ووسط سيطرةٍ أميركيّةٍ تامّةٍ على الأجواء هناك، حَدَثَ تمرُّدٌ في جنوبيّ العراق قام به ضبّاط عراقيُّون. وكان واضحًا أنّهم أرادوا الإطاحةَ بصدّام حسيْن. لم يَطْلبوا دعمًا من الولايات المتحدة، بل مجرّدَ الحصول على بعض الأسلحة العراقيّة [التي صادرتْها الولاياتُ المتحدة أثناء حرب الخليج]، ولكنّ الولايات المتحدة رفضتْ ذلك. بل أجازت بشكل ضمنيّ لصدّام حسين أن يَسْتخدمَ سلاحَ الطيران لسَحْق التمرُّد. وأُعطيت الأسباب: فبحسب تعبير توماس فريدْمان، وهو مراسلُ الشؤون الديبلوماسيّة في **نيويورك تايمز**، أثرت الولاياتُ المتحدة بوضوحٍ وباستحسانٍ ديكتاتوريّةً عسكريّةً في العراق ذاتَ قبضةٍ حديديّةٍ لصالح ما أَسْمته «الاستقرار» على تمرُّدٍ شعبيّ تمّ في النهاية سحقُه. ربّما لم يُرِد الناسُ هنا أن يَنْظروا إلى حقائق الأمور، ولكنّها كانت منشورةً على الصفحات الأولى من الجرائد. وما ذكرتُه هو مثالٌ واحدٌ فحسب. وهناك أمثلة شبيهة على امتداد المنطقة. لهذا يَشجب أصحابُ المصارف ورجالُ الأعمال المؤيِّدون لأميركا الولاياتِ المتحدةَ لدَعْمها الأنظمةَ غيرَ الديموقراطيّة ولوقفِ النموّ الاقتصاديّ في هذه البلاد.

**حَدِّثْنا عن العلاقة ما بين الغاية والوسيلة. لنقلْ إنّ لديْكَ هدفًا نبيلاً، وتريد أن تَسُوق مرتكبي الجرائم الإرهابيّة المروِّعة إلى العدالة. فما هي الوسيلة لبلوغ هذه الغاية؟**

لنَفْترضْ أنّكَ تريد أن تَسُوق رئيسًا من رؤساء الولايات المتحدة إلى العدالة، لأنّه مسؤول عن أعمال إرهابيّة مروِّعة. ثمّة طريقةٌ للقيام بذلك. بل هناك سابقة. فنيكاراغوا في الثمانينيّات تعرّضتْ لهجوم أميركيٍّ عنيف، ومات عشراتُ آلاف الأشخاص من جرّائه، ودُمِّرت البلادُ إلى حدٍّ كبير وقد لا تستعيد عافيتَها قطّ، ومآسيها أسوأُ بكثيرٍ من المآسي التي ضَرَبَتْ نيويورك ذلك اليومَ [١١ أيلول]. لكنّ النيكاراغويّين لم يفجِّروا قنابلَ في واشنطن، وإنّما ذهبوا إلى المحكمة الدوليّة التي أصدرتْ حُكْمًا لصالحهم يَدين الولاياتِ المتحدة لما أسمته تلك المحكمة «استخدامَ القوّة استخدامًا غيرَ شرعيّ»، وهو ما يَعْني إرهابًا دوليّاً. وأمَرَت المحكمةُ الولايات المتحدة بالكفّ عن أعمالها وبدفْع تعويضاتٍ كبيرةٍ لنيكاراغوا. ولكنّ الولايات المتحدة رفضتْ قرار المحكمة باحتقار. فذهبتْ نيكاراغوا من ثمّ إلى مجلس الأمن الدوليّ، الذي أَقرّ مشروعَ قرارٍ يطالب الولايات المتحدة باحترام القانون الدوليّ. لكنّ الولايات المتحدة مارستْ حقّ النقض (الفيتو). فذهب النيكاراغويُّون إلى الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة، حيث استحصلوا على قرارٍ مماثل صُدِّق بشبه إجماع باستثناء معارضة الولايات المتحدة وإسرائيل. تلك هي الوسيلة التي يَنْبغي اتّباعُها. ولو كانت نيكاراغوا قويّةً بما يَكْفي لكان بإمكانها إنشاءُ محكمةٍ جزائيّةٍ أخرى. تلك هي الإجراءات التي كان باستطاعة الولايات المتحدة أن تَسْلكها [للقبض على إرهابيّي الأحداث الأخيرة]، ولن يكون ثمّة مَنْ يَمْنعها مِنْ فعلِ ذلك. وهذا هو ما يَطْلبه الناسُ منها في كافة أنحاء تلك المنطقة، بما في ذلك حلفاؤها.

تذكَّرْ أنّ الحكومات في الشرق الأوسط وشماليّ أفريقيا، مثلها مثل الحكومة الجزائريّة التي هي أكثرُ تلك الحكومات وحشيّةً، ستكون سعيدةً بأن تشاركَ الولايات المتحدة مقاومتَها للشبكات الإرهابيّة التي تهاجمها؛ فهذه الحكومات هي الهدف الأساسيّ للشبكات المذكورة. ولكنّ الحكومات تلك تريد بعضَ الأدلّة، وتريد أن تقوم بتلك المشاركة في إطارٍ من الالتزام بالقانون الدوليّ وإنْ في حدِّه الأدنى. والحال أنّ الموقف المصريّ غريبٌ حقّاً. فالمصريُّون جزءٌ من

الجهاز الأساسيّ الذي نَظَّمَ شبكةَ بن لادن، وكانوا هم أوائلَ ضحاياه عند اغتيال السادات، وهم منذ ذلك الحين مِنْ بين ضحاياه الأساسيِّين، ولذلك يودّون لو يَسْحقون تلك الشبكات، ولكنَّهم يقولون سَنَفْعل ذلك بعد ورود بعض الأدلّة على أسماء المنخرطين [في أحداث ١١ أيلول] ومن ضمن إطار ميثاق الأمم المتحدة، وبرعاية مجلس الأمن. وهذه طريقةٌ يمكن [للأميركيِّين] اتّباعُها أيضًا.

**أتَعْتقد أنَّ الانخراطَ في تحالفاتٍ مع ما يُسمَّى «شخصيَّاتٍ بغيضةً،» ومع مهرّبي مخدِّرات وسفّاحين، من أجل تحقيق ما يُقال إنَّه هدفٌ نبيل، أمرٌ أكثرُ من إشكاليّ؟**

تذكَّرْ أنَّ أكثر الشخصيّات الجديرة بالبغض هي حكوماتُ تلك المنطقة، وحكومتُنا نحن وحلفاؤها، إنْ كنّا جادّين حقّاً. عليكَ أن تسأل: ما هو الهدفُ النبيل؟ أكانَ هدفًا نبيلاً دَفْعُ الروس إلى فخٍّ أفغانيّ عام ١٩٧٩، كما ادّعى بريزنسكي أنَّه فعل؟ إنَّ دعم المقاومة الأفغانيّة ضدّ الغزو الروسيّ شيء، وتنظيمَ جيشٍ إرهابيٍّ من المتعصِّبين الإسلاميِّين من أجل أهدافكَ الخاصّة شيءٌ مختلف. السؤال الذي علينا أن نَطْرحه الآن هو: ماذا بشأن التحالف الذي يُبْنى الآن، أي التحالف الذي تحاول الولاياتُ المتحدةُ تركيبَه؟ علينا ألاّ نَنْسى أنَّ الولايات المتحدة نفسها هي دولةٌ إرهابيَّةٌ طليعيّة! فماذا عن التحالف بين الولايات المتحدة وروسيا والصين وأندونيسيا ومصر والجزائر، وكلُّها مبتهجةٌ لرؤية نشوء نظامٍ دوليٍّ برعاية الولايات المتحدة يُجيز لها ارتكابَ فظاعاتٍ إرهابيَّةٍ بحقّ مواطنيها؟ روسيا، مثلاً، ستكون سعيدة جداً بالحصول على دعمٍ أميركيٍّ لها في حربها في الشيشان. فهناك أفغان شبيهون [بالمجاهدين في أفغانستان] يحاربون ضدّ روسيا.

**وربّما ستكون الهندُ هي الأخرى سعيدةً جداً.**

نعم. وستكون أندونيسيا أيضًا مبتهجةً بتلقّي دعمٍ أميركيّ لمجازرها في «آسِهْ» [شمال غرب أندونيسيا]. والجزائر، كما أُعلِن منذ قليل، ستكون هي أيضًا مبتهجةً بالحصول على إجازة بإطالة إرهاب الدولة الذي تمارسه. ويَنْطبق هذا الأمرُ على عدد كبير من الدول في العالم.

**إنّ تعليقَكَ بأنّ الولايات المتحدة «دولةٌ إرهابيَّةٌ طليعيَّة» قد يَصْعق عددًا كبيرًا من الأميركيّين. أتستطيع أن تفصِّل ذلك؟**

لقد سبق أن ذكرتُ مثالاً واحدًا. فالولايات المتحدة هي البلد الوحيد الذي دِينَ بالإرهاب الدوليّ من قِبل المحكمة الدوليّة، ورَفَضَ قرارًا من مجلس الأمن يَدْعو إلى احترام القانون الدوليّ.

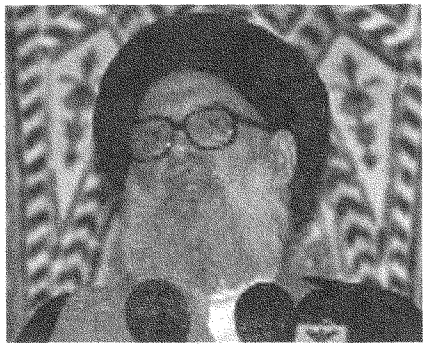



إدارة ريغان قامت بتفجير إرهابيّ في بيروت عام ١٩٨٥ فقتلت ٨٠ شخصًا لأنّها لم تحبّ رجل دين مسلمًا

ومازالت الولاياتُ المتحدة تواصل الإرهاب الدوليّ ـ وهذا أهونُ ما تفعله. الجميعُ هنا كان ساخطًا، وبحقّ، على التفجير في مدينة أوكلاهوما. ولعدّة أيام كانت عناوينُ الصحف تقول ما معناه: «مدينة أوكلاهوما تُشْبه بيروتَ بسبب [ما فعله] العربُ بها.» ولكنّني لم أرَ أيَّ واحدٍ يشير إلى أنَّ «بيروت أيضًا تُشْبه بيروت!» والسببُ في ذلك جزئيّاً هو أنَّ إدارة ريغان قامت بتفجيرٍ إرهابيّ هناك عام ١٩٨٥ يُشْبه كثيرًا ما حَصَلَ في مدينة أوكلاهوما، وكان عبارةً عن تفجير شاحنةٍ خارج أحد المساجد موقّتةٍ بحيث تَقْتل أكبرَ عددٍ من المصلِّين عند خروجهم، فقتلتْ ٨٠ شخصًا وجَرَحتْ ٢٠٠ آخرين. وكانت الشاحنة المفخّخة تَسْتهدف رجلَ دينٍ مسلمًا [هو العلاّمة محمد حسين فضل الله] لم تَكُن الولاياتُ المتحدة تحبّه ولكنَّها أخطأته. ولم تكن هذه الحادثة بالأمر السرِّي جداً.(١)

أنا لا أَعْلم ما تسمِّي الهجومَ الذي قَتَلَ ربما مليونَ مدنيٍّ في العراق، وربّما نصفَ مليون طفلٍ عراقيّ، وهذا هو الثمن الذي قالت وزيرةُ الخارجيَّة السابقة إنَّنا على استعداد لدفعه. أثمة اسمٌ لهذا العمل؟ أثمة اسمٌ لدعم الفظائع الإسرائيليَّة؟ مثال ثالث: دَعْمُ أميركا لتركيا في سحق سكّانها الأكراد أنفسهم، وهو سحقٌ قدّمتْ له إدارةُ كلينتون الدعمَ الحاسمَ، أيْ ٨٠٪ من الأسلحة، وتصاعَدَ مع تصاعُدِ الفظائع التركيّة.

مثال رابع: قصفُ السودان. ثمّة هامش صغير وضئيلٌ هنا، إلى درجة أنَّ أحدًا لم يَذْكره وإنْ مجرَّد ذِكْر: فما تراه يَشْعر الأميركانُ لو نُسِفَ نصفُ الأدوية في الولايات المتحدة، مع أنَّ هذه ليست مقارنةً عادلةً لأنّ السودان بلدٌ فقيرٌ لا يَسْتطيع أن يسدَّ النقصَ في تلك الأدوية؟ لا أحد يدري كم عشرات من الآلاف ماتوا بسبب ذلك. لو فَعَل قومٌ مثلَ هذا في الولايات المتحدة، لكنّا على الأرجح دَعَوْنا إلى قصفهم بالسلاح النوويّ؛ لكنَّنا في حالة السودان قلنا: «آه، حسنًا، هذا أمرٌ مؤسف جداً، فلننتقلْ إلى موضوع آخر.» غير أنّ الآخرين في العالم لا يَسْتجيبون للأحداث هكذا.

١ ـ كَشَفَتْه، على ما أظنّ، صحيفةُ **واشنطن پوست** بعد فترة من الزمن. (م)

**في كتابكَ ثقافة الإرهاب تَكْتب أنّ «المشهد الثقافيّ مضاءٌ بوضوح مميَّز بفضلِ أفكار الحمائم الليبراليَّة الذين يَرْسمون تخومَ الانشقاق الجديرِ بالاحترام.» كيف تقوِّم تصرُّفَ هؤلاء منذ أحداث ١١ أيلول (سبتمبر)؟**

فلنأخذْ مثالاً محسوسًا لأنّني لا أحبّ التعميم. في ١٦ أيلول نشرتْ **نيويورك تايمز** طلبَ الولايات المتحدة من باكستان قَطْعَ المساعدات الغذائيَّة عن أفغانستان. كان ذلك القطعُ قد تمَّ قبلَ أيّام، ولكنّ الطلب جاء صريحًا الآن: قطعُ الطعام الذي كان يُبقي ملايينَ من الناس ربّما بعيدين قليلاً عن حافة الموت جوعًا. وأَفْترض أنَّ الولايات المتحدة إذا أعطت الأوامرَ فإنَّ باكستان ستنفِّذها. ماذا يعني هذا؟ يَعْني أنَّ عددًا غيرَ محدَّد من الناس، ربّما الملايين من الأفغان المتضوِّرين جوعًا، سيموتون. أهؤلاء من «الطالبان؟» لا، هم ضحايا الطالبان. كثيرٌ منهم هُجِّروا من مكان إلى مكان داخل أفغانستان ومُنِعوا من مغادرتها. لكنّ الطلب الأميركيّ يقول: «حسنًا، لنَمْضِ إلى قتل عدد غير محدَّد من الناس، ربّما الملايين من الأفغان المتضوِّرين جوعًا الذين هم ضحايا الطالبان.» فماذا كانت ردودُ الفعل؟

لقد أمضيتُ اليوم الذي أَعْقب ذلك الطلب وأنا أتحدَّث على الراديو والتلفزيون في عدّة أنحاء من العالم. وواصلتُ إثارة هذا الموضوع. غير أنَّ أحدًا في أوروبا أو الولايات المتحدة لم يَسْتطع أن يفكِّر في الردّ بكلمة واحدة. في حين كانت هناك ردودُ أفعالٍ كثيرة في بقيّة أنحاء العالم، بما في ذلك في محيط أوروبا مثل اليونان. كيف تردّ على ذلك؟ تصوَّرْ لو كانت ثمّة قوةٌ من الجبروت بحيث تقول: «لنفعلْ شيئًا يسبِّب مقتلَ مليون أميركيّ جوعًا»؛ أكنتَ ستظنّ أنَّ هذه مشكلة خطيرة؟

**الإذاعة الأميركيَّة العامَّة (ناشونال پابليك راديو)، التي شَجَبتْها إدارةُ ريغان في الثمانينيَّات بوصفها «إذاعة ماناغو على ضفاف الپوتوماك،»* تُعتبر هي أيضًا عند نهاية الطيف الليبراليّ من النقاش الأميركيّ الجدير بالاحترام. في ١٧ أيلول (سبتمبر) سألَ نُوَا أدامز، وهو المضيف في برنامج «كل الأمور في الاعتبار،» أسئلةً من نوع: أيجب أن يُسمح بالاغتيالات؟ أيَنْبغي أن تُعطى وكالةُ المخابرات المركزيَّة الأميركيَّة هامشًا أوسعَ للحركة؟**

يجب ألاّ يُسمح لهذه المخابرات بالقيام بأعمال الاغتيال. لكنّ هذا هو أقلّ ما يجب أن نُطالِبَ به. أيَنْبغي أن يُسمح لهذه المخابرات بتجهيز سيّارة مفخَّخة في بيروت كما سبق أن وصفتُ؟ فذلك لم يَنْتهك [في نظر الأميركان] أيَّ قانون. وهو لا يَقْتصر على هذه المخابرات وحدها. أوَكان يَنْبغي أن يُسمح بتنظيم جيشٍ إرهابيٍّ في نيكاراغوا مهمتُه الرسميَّة ـ كما جاء بالحرف على لسان وزارة الخارجيَّة الأميركيَّة ـ مهاجمةُ «الأهداف الطريّة» أي التعاونيات الزراعيَّة والعيادات الصحيَّة؟ ما ترانا نسمِّي ذلك؟ أوَكان يَنْبغي أن يُسمح ببناء شيء مثل شبكة بن لادن، لا باسمه هو نفسه، بل الشبكة الخلفيَّة التي يَسْتند إليها؟ أوَيَنْبغي أن يُسمح للولايات المتحدة بتقديم مروحيّات حربيَّة لإسرائيل من أجل القيام باغتيالات سياسيَّة؟ إنّ مَنْ فعل ذلك ليس المخابرات الأميركيَّة في الواقع، بل إدارةُ كلينتون نفسُها.

**أَتَسْتطيع باختصارٍ شديدٍ أن تحدِّدَ الأسبابَ السياسيَّةَ للإرهاب، وكيف تُدْرَج في النظام العقيديّ الأميركيّ؟**

الولايات المتحدة ملتزمة رسميّاً ما يُسمَّى «الحروبَ المنخفضةَ الحدّة» low-intensity warfare. هذه هي العقيدة الرسميَّة. فإذا أنتَ قرأتَ تعريفَ هذا المصطلح في كتيّبات الجيوش، ثمّ قابَلْتَه بتعريف الولايات المتحدة للإرهاب، وجدتَ أنَّ التعريفيْن يكادان أن يتطابقا. فالإرهاب هو استخدامُ الوسيلة القاهرة الموجَّهة إلى السكّان المدنيِّين في مسعى لتحقيق أهدافٍ سياسيَّةٍ أو دينيَّةٍ أو غيرِ ذلك. وهذا يَنْطبق على تفجيرات مركز التجارة العالميّ في ١١ أيلول. ولكنَّه أيضًا العقيدةُ الرسميَّةُ الأميركيَّةُ. لقد ذكرتُ بضعةَ أمثلة. ونَسْتطيع أن نَذْكر أمثلةً أخرى إلى ما لا نهاية: فالإرهابُ، ببساطة، جزءٌ من أعمال هذه الدولة [أميركا].

على هذه الأمور جميعها أن تُعرَفَ جيِّدًا. ومن المعيب أنّ الحال ليست كذلك. على كلِّ مَنْ يريد أن يَعْرف هذه الأمور أن يقرأ كتابًا يضمّ مجموعةً من المقالات نَشَرَها قبل عشرة أعوام ناشرٌ كبيرٌ، وعنوان الكتاب: **إرهاب الدولة الغربيّة**، وهو يَسْتعرض الكثيرَ من الحالات. إنّ هذه أمورٌ يَنْبغي على الناس أن يعرفوها إنْ كانوا يريدون أن يَفْهموا شيئًا عن أنفسهم.

**كولورادو**

* ـ ماناغوا عاصمة نيكاراغوا. وپوتوماك نهرٌ في واشنطن دي سي. (م)